ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب في وصف زهير (3) حيث قال: إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال،أ) نعت المديح فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة،ومنفعة أخرى ثانية، وهي توكيد ما قلنا في أول كلامنا في المعاني، من أن الواجب ولما كان المديح إسماً مشتركاً لمدح الرجال وغيرهم،فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه. عمه بالقول في مدح الرجال، إذ كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم إلا ما يستعملون من أوصاف النساء فإن ذلك له قسم آخر سنأتي به في ما بعد إن شاء الله تعالى (1)، وعلمنا أن أخذنا في التعريف بجودة مدح الرجال كيف يكون، فقد يتعلم من حواشي إنه لما كانت فضائل الناس، على ما عليه أهل الألباب، من الإتفاق في ذلك، كانقولنا في هذا كيف يسلك السبيل إلى مدح غيرهم، القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً. دون البعض: مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه، أو يقتصر عليهما دون غيرهما، فلا يسمى مخطئاً، لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله، فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال، وبالغوالبالغ في التجويد إلى أقصى فوصفه في هذا البيت بالعفة، لقلةحدوده من استوعبها، ولم يقتصر على بعضها؛ وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة: فزاد في وصف السخاء بأن جعلهتراهُ إذا ما جئتَهُ متهللاً . كأنكَ مُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهْ (2)إمعانه في اللذات، وإنه لا ينفد ماله فيها، . فمن مثلُ حصنٍ في الحروبِ ومثلِهيهش له، ولا تكره لفعله؛ ثم قال:

Summarized by © lakhasly.com